

ستتظر إلى خريطة عالمك بتمعن.. ستبث في أرجائها عي.. لكنك لن تجدني.. رغم أن عالمك يحترق عن بكرة أبيه.. لكنك لن تجدني.. فأنت تنظر إلى الخريطة الخطأ.. ها أنت ذا تدارك نفسك وتزير هذه الخريطة الجغرافية جانباً وتفتح خريطة أخرى.. خريطة تاريخية.. وتنظر في أرجائها بتمعن.. ومرة أخرى لم تجدني.. هنا تقرر أن تخذل بحثك صبغة رقمية.. فتفتح أقرب جهاز كمبيوتر إليك وتنظر إلى شاشته الحديثة في اهتمام.. ها أنت قد أحضرت الخريطة التاريخية إلى الشاشة.. وكنوع من التأثيرات الرقمية المحببة إليك أوقد لك الكمبيوتر نيراً في أماكن بعينها من الخريطة.. نظرت إلى النيراً بعين اتقدت حماستا.. أنت تراني الآن.. تراني أزحف على خريطة عالمك ببطء.. صغيراً كنت في البداية.. حتى تقع إحدى نقاط الخريطة بين أيابي.. فتأتهمها.. فيكبر حجمي.. ثم أزحف.. ثم أتتهم فأكابر.. ثم أزحف.. وأوقد النيرا.. وأنفث السم من بين أيابي في كل مكان أجول فيه.. لقد عرفت الآن إلى من تنظر.. لقد كنت تنظر إلى "سيربرنت" .. الثعبان.

بدأت الزحف أول ما بدأت في بابل.. الأرض الملعونة.. قبل أكثر من أربعون سنة من ولادة المسيح.. كان هناك يهود كثيرون.. شردوا من فلسطين.. وأخذوا إلى بابل عيضاً مذلولين.. ناقمين حاقدين.. كارهين لأنفسهم ولدينهم ولربهم.. يحملون التوراة في أيديهم بعد أن سقطت من قلوبهم.. معاددوا يصدقون بكل الوعود وعدهم بها ربهم.. لقد أصبحوا عيضاً الآن.. نساوهم حلال ودماؤهم حلال.. تحطمت بلادهم ومقدساتهم وأحلامهم.. وعملوا بحرستهم تحت أقدام أجنبية بابلية قاسية.. خرقت أرضهم وحرقت قلوبهم وخرقت كرامتهم.

وفجأة لاح الأمل.. كانت الفيضة البابلية السوداء التي حطت على تاريخهم على وشك الزوال.. وانهزمت مملكة بابل على يد مملكة فارس.. وسمح الفارسيون لليهود أن يعودوا إلى بلادهم.. وقبل أن يعودوا إلى رشدهم وإلى توراة ربهم.. فتحت فكيَّ عن آخرهما.. ونفت نفحة مسمومة شيطانية تلقتها قلوبهم

المريضة بترحاب.. واجتمع كبراؤهم بكبرائهم.. وخرجوا للعالم بكتاب مقدس جديد تفوق قدسيته قدسيّة التوراة.. وضعوا فيه أشد عقدهم وأفكارهم سواداً معزوجة بأشد سموّي فتكاً.. خرج "التلמוד" إلى العالم كشيطان مرید وضع التوراة تحت قدمه.. وقالوا إنما التلמוד هو الأسرار الشفهية التي تلقاها موسى من ربه.. وسموا هذه الأسرار الشفهية "الكابالا" .. ثم ألقى موسى الكتاباً إلى خاصته منهم.. فألقاها الخاصة إلى الخاصة.. حتى قرر خاصة الخاصة أن يكتبوا لها ثلاثة تضيع.. ولما كتبواها صارت كتاب التلמוד.. من الرائع أن ترى أناساً مخلصين لأفكارك التي بشّتها في نفوسهم.. من الرائع أن أصعد إلى هذه المنصة المقدّسة وأنظر إلى هذا التلמוד الموضوع عليها بعنابة.. يتعلّكني الفضول لأنقرأا..

"إن الله لم يعد يلعب مع الحوت ولم يعد يراقص حواء كما كان يحب أن يفعل.. فأنّي له أن يلعب ويرقص وقد تسبّب في دمار الهيكل.. لقد أمسى في كل ليلة يزار كالأسد ويقول تبا لي لأنّي سمحت بخراب بيتي.. سمحت بخراب الهيكل.. لكن صبراً أيها اليهود.. فالله لديه ما سيسركم.. صبراً فإن الفخلص سوف يأتي.. من بين جنبات الظلام سيأتي.. وسيعيد بناء هيكل الرب.. لكن أيها اليهود.. لن يأتي صاحبكم إلا إذا انتهى حكم الغوييم.. أتتم أيها اليهود وحدكم البشر.. أما غيركم فهم غويم.. والغوييم ليسوا بشرًا.. بل هم حيوانات.. حيوانات قد سُخّرها الإله لخدمتكم.. وإنما صورها على هيئة بشرية ليتسنى لها القيام بهذه الخدمة.. اعلموا أن قتلهم الغوييم هو قربان إلى الله.. ولو أن أحدكم رأى واحداً من الغوييم قد وقع في حفرة.. فليس عليه إلا أن يردهما بالصخر.. حتى يموت الغوييم.. واعلمن يا نساء اليهود.. لو خرجمت إحداكن من حمامها فرأات كلباً أو حماراً أو رأت واحداً من الغوييم أو خنزيراً أو برصاً فقد تنجست عليها أن تستحم مرة أخرى.. ولو كان أحدكم أيها اليهود طيباً ماهراً فلا يعالج الغوييم.. وإن كان طيباً فاشتاً فليعالج الغوييم حتى يكون في علاجه هلاك هذا الغوييم"

"إنما يسوع الناصري ابن زنا.. وإنما حملت فيه أمه وهي حائض سفاحاً من العسكريي يانزار.. وإنما يسوع الناصري كذاب ومجنون ومضلل وساحر ومشعوذ ووثني ومخبول.. واعلموا أنها الراهبات المسيحيات مومسات.. وأن القساوسة الرهبان المسيحيين مختلفون.. وأن الكنائس إنما هي بيوت دعارة"

"أيها اليهود.. لئا ينأجح الرجل البالغ طفلة صغيرة فلا شيء في ذلك.. ولو كان عمرها ثلاثة سنوات.. الأمر كذلك تضع إصبعها في عين.. وأن تناكح ولدًا صغيرًا فهذا لا يعتبر عملاً جنسياً فاحشًا تخشاه"

لم أدر أن سقفي في قلوب هؤلاء القوم قد وجد سكتاً أعمجه.. لقد تعدوا ما أردت لهم أن يكونوه.. لقد أفسدوا دينهم تماماً.. سأعترف أنبني إسرائيل قد أبهروني.. لقد وعدتهم ربهم في التوراة الأصلية بأن ملكهم سيعود لهم مرة أخرى بعد أن يطردو من بلادهم.. وأنه لما يعيد لهم ملكهم سيرسل لهم نبياً يُعرف بال المسيح.. يحكم العالم بالعدل.. من عرش النبي "داود" .. ولما حرق الله المسجد الأقصى الذي بناه أبو البشر "آدم" وصل فيه "إبراهيم" و"إسحق" و"يعقوب" .. ثم جده "سلیمان" .. والآن جددوه بأنفسهم وصار اسمه عندهم الهيكل.. هيكل سليمان.. ولما جددوه وصلت إثارتهم إلى ذروتها وانتظروا نزول المسيح الموعود على آخرٍ من الجمر.. والذي سيحكم العالم من عرش "داود" في الهيكل.

ولما خرج فيهم المسيح "عيسى" بن مرريم.. رفضوه.. وقالوا إنه ابن زنا.. ولما رأوه يموت على الصليب أمام أعينهم .. ثاروا.. وقالوا إن هذا إلا محتال.. فقد مات ولم يحكم العالم من عرش "داود" كما قالت النبوة.. لم يدر أحدهم أن النبي "عيسى" الذي أرسل إليهم كان المسيح الحقيقي الذي قالت عنه نبوة التوراة.. لم يدر أحدهم أنه لم يكن ابن زنا بل كاننبياً.. ولم يدر أحدهم أنه لم يفت على الصليب كما رأوا وإنما رفعه الله إليه.. وأنه سيعود في نهاية الزمان

ويحقق نبوءة التوراة ويحكم العالم بالعدل من عرش "داوود" في فلسطين.. لم يدر أيٌ منهم هذا.. لقد تملّكهم التلمود حتى صاروا يتفسّونه.

قالوا إن من يؤمن بالتوراة ولا يؤمن بالتلمود فليس مؤمناً؛ فالتلמוד هو أشد قدسيّة من التوراة.. لأنّه يحمل الأسرار الشفهية التي هي أقوى من التوراة المكتوبة.. لم يدر أحدّهم أنه لم تكن هناك أسرار.. إنما هي نفثات شيطان.. شيطان ثعبان رحّف على بلادهم وأكل حتى شبع ثم واصل الرّحّف بحثاً عن قرية أخرى.. وقلوب أخرى.. وكنت أنا هذا الثعبان.

وبعد سنوات من وفاة النبي "عيسى" بن مریم.. عدت أرّحف بسمومي إلى أورشليم.. كان أتباع "عيسى" الحواريون يتولون نشر الإنجيل التي ينادي بالحب والمساواة بين الناس ويواافق التوراة اليهودية التي نزل بها "موسى" وأصبح "عيسى" يبشر بنبيٍ يأتي في نهاية الزمان اسمه "محمد" .. أصبح إنجيل "عيسى" يعارض كل سمومي التي نفثتها في تلمود اليهود.. لذا نفثت سموماً جديدة.. فبمثيل ما نفثت في قلوب أهل التوراة سموها نفثت في قلوب أهل الإنجيل سموها.

فجأة دخل على الحواريين رجلٌ فزعوا لرؤيه فزعًا عظيماً.. "شاول" .. رجل يهودي قوي مكلف من قبل أكابر اليهود باعتقال الحواريين أحياء أو ميتين باعتبارهم كفار باليهودية التلمودية.. رجلٌ مرسل من جمعية يهودية أشتئت خصيصاً لقتل أتباع المسيح الحواريين ودفن المسيحية.. جمعية تدعى القوة الخفية.. جمعية يهودية يرعاها ملوك الرومان.. تحفز الحواريون لما رأوا "شاول" .. لكن أعينهم اتسعت عندما قال لهم اليهودي فجأة :

- إني كنت لكم كارها.. عليكم مسلطًا.. لم تكن رؤسكم المقطوعة لتشفي غليلي فيكم.. لكن نورًا عظيماً من السماء لاح لي أثناء سيري الحديث إليكم.. نورٌ حَرَ جسدي من عظمته على الأرض صعقاً.. وأتاني هاتف بصوت بدا كأنه ملاً أرجاء الأرض يقول لي "لماذا تؤذني أتباعي

يا شاول؟" قم وادخل دمشقاً فهناك يقال لك عما يجب أن تفعل.." لقد كان النور الذي أتاني هو "عيسى" .. وإنني أتيت لكم اليوم مؤمناً بـ "عيسى" ولست كافراً.. جنتم ناصراً ولست قاتلاً.

ظلَّ الدواريون على فزعتهم الأولى من "شاول" .. فهو كان في الحقيقة أكثر من طالهم بالأذية.. لكن "برنابا" توسط له عندهم.. فبدأوا يستمعون له.. وبدأ السُّم الزعاف يملأ كأس النصرانية حتى فاض السم خارج الكأس المعمولة.. ثم سال السم من كثره على الأرض.. وضيقَت عينيَّ المشقوقين في تشفٍ.. واستمعت معهم لأحاديث "شاول" الذي أصبح اسمه القديس "بولس" وأصبح رسمياً قادراً على تلقي الوحي من المسيح "عيسى" وقدراً على التشريع ..

كان الله واحداً لا إله إلا هو في عقيدة المسيح "عيسى" .. فأصبحوا ثلاثة آلهة في عقيدة "بولس" .. الله و"عيسى" والروح القدس..

كان الله ليس كمثله شيء في عقيدة المسيح.. فأصبح الله في عقيدة "شاول" أباً والمسيح "عيسى" هو ابنه ..

كانت هناك شريعة لله شرعاًها في التوراة اسمها الناموس.. شريعة تحرم الخمر ولحم الخنزير واللبيمة وتفرض الصلاة والصيام.. فأصبحت المحظورات كلها في عقيدة "بولس" مباحة.. ولا توجد واجبات.. لا يلزم المرء عند "بولس" صلاة أو صياماً أو أي تكليف.. لا يلزم منه سوى الإيمان وحده.. الإيمان بالله.. وابن الله.. والروح القدس.. الثالوث الشهير.

أنكر بعض الدواريين على "بولس" ما يقول بينما صدّقه البعض الآخر.. لكن أغلبهم خالفوه في إلغائه شريعة التوراة.. وانقسمت المسيحية إلى طوائف عديدة بينها اختلاف شديد جداً لمدة ثلاثة قرون كاملة.. خلال هذه القرون كنت كلما أفتح الإنجيل لأقرأه أجد كلاماً عجيناً..

"لوط" النبي كانت له ابستان.. وكانت هاتان البتتان تسقيانه خمراً وتكشفان له وتغريانه حتى عاشرهما وأنجب منها أولاد زنا.

أحد أبناء "يعقوب" واسمه "روبن" .. كان يمارس الجنس مع أمه على سطح المنزل.

"يهودا" أبو العرق اليهودي كان معجباً بزوجة ابنه.. فحاصرها مرة على جانب الطريق وعاشرها وأنجب منها أولاد زنا.

زنا محارم صريح في الإنجيل.. الحقيقة بالطبع أن هذا لم يكن الإنجيل وإنما كان ما كتبه هؤلاء بالسم الذي زرعته في قلوبهم وفي أقلامهم.

جاء بعدها الإمبراطور عابد الآلهة الرومانية الوثنى قسطنطين وجمع أكابر الطوائف المسيحية كلها في مجمع واحد.. مجمع نيقية.. وحتى يزيل الاختلاف فيما بينهم أجرى تصويتاً على ألوهية المسيح.. وصوتت كل طائفة بصوتها.. وانتهى الاجتماع بقرار رسمي باعتبار المسيح إلهًا مع الله وأنه ابن الله.. كان هذا كافياً جدًا.. إن مفعول السم قد أصاب قلوبنا كانت بالله مؤمنة موحدة متزهة.. فأصبحت من بعد السم بالله مشركة.. بل وألغت شريعة الله بأكمالها بحلالها وحرامها.. هلرأيتم سقفاً بهذه الفاعلية من قبل؟

الرسول المسيح "عيسى" يصير فجأة ابنَ الله وإلهًا معه أيضًا وناموسه يصير لاغيًا.. وكل هذا يبنى على شخص يهودي غريب لم يَرَ المسيح في حياته.. رجل كان يلاحق الغواريين لقتلهم يأتي ويزعم بين ليلة وضحاها أنه رأى نورًا ينزل عليه من السماء.. وأن هذا النور هو "عيسى" .. وأنه ليس نبياً بل هو إله.. وهو ابن الله أيضًا.. وزنا محارم في كتاب الله الإنجيل يرتكبه أنبياء الله وأولادهم.. وشخص روماني وثنى يجعل الناس تصوت على ألوهية المسيح.. فيصوتون عليها وكأنهم في انتخابات.. لم يكن العيب في عقول الرجال.. بل كان في قلوبهم.

هكذا أفسدت كل الشرائع التي أنزلها الله إلى الناس فساداً تاماً كاملاً.. وغدت إلى خريطة العالم.. عدت أزحف بحثاً عن قلوب أخرى.. وقد وجدت ضالتي بعد حوالي ثلاثة سنة من انعقاد مجمع نيقية.. فجأة سمعنا نحن الشياطين من نبا السماء أمراً عجباً.. كل أحاديث الملائكة التي نسترق منها السمع كانت تتحدث عن حدث عظيم يوشك أن ينزل بأهل الأرض.. حدث سيقلب كل شيء رأساً على عقب.. كنت أتوقع حدوث ذلك الحدث وأنتظره.. بل ننتظره جميعاً.. كانت الأرض تستعد لأن تشهد ولادته.. ولادة محمد.

وإني قد رأيت من أمر هذا الرجل مالم أره في حياتي الممدودة كلها.. قبل حوالي شهرين من ولادته حدث أمر أسطوري لم أشهد مثله منذ قرون.. رأينا سماء مكة قد ملئت بالطير حتى لم نعد ترى شيئاً من السماء.. كانت نوغاً من الطير لم يُرَ مثله من قبل.. طير بحجم النسر طويل العنق أقدامه خمر.. سفاه العرب العنقاء.. ملئت السماء بالعنقاء في مشهدٍ مهيبٍ وكل طير منها يحمل في منقاره حجراً وفي أقدامه حجراً.. وكانت أرض مكة ممتلئة بجيش أتى من اليمن على أفيال عظيمة يريدون هدم الكعبة.. كان مشهداً أسطورياً رهيباً وجنود الجيش ينظرون إلى السماء في رعبٍ وتوتر الأفيال.. ولم يدرؤن إلا والطير قد رمت عليهم الحجارة التي كانت تحملها.. حصياً صغيرةً كانت.. لكنها مست أجساد القوم فهلك منهم من هلك من فوره.. ومن بقي منهم تساقط جلده وأعضاوه عضواً عضواً حتى صار كالفرخ المذبوح.

هرعنا إلى السماء نبغي سماع الخبر كما اعتدنا أن نفعل منذ الأزل.. لكن شيئاً ما في السماوات لم يعد كما كان.. نظر بعضنا إلى بعض في استغرابٍ وواصلنا الصعود.. فجأة رأينا أجراماً من السماء تسقط على رؤوسنا.. ولينا أدبارنا هرباً لكن تلك الأجرام أصابتنا فأحرقتنا ونزلتنا إلى الأرض محراقةً أجسادنا وقلوبنا.. يبدو أن وقت سطوة الشياطين قد انقضى زمانه.. وقد بدأ زمن إلهي جديد.. زمن محمد.

اهترت أرض مكة فسقطت الثلائمة وستون صنفها المثبتون بالمسامير حول الكعبة على رؤوسهم. . وانطفأت نار فارس التي كانت تُعبد وهي النار التي كان يتناوب على إذكائها الكهان منذ ألف عام فلم تطفئ إلا اليوم.. وهرعنا نحن الشياطين إلى بيت أمه لنشهد ولادته.. وهناك رأينا أمراً لم نصدقه في الوهلة الأولى؛ مريم ابنة عمران.. وأisia أميرة فرعون ونساء آخريات لم نر في مثل حسنهن والكل يقف حول آمنة أم "محمد" ليشهد ولادة "محمد" .. يالعجب كيف أتين إلى هنا.. ولها خرج انتظرنا نفزة الشيطان له ليكي لكن الشيطان لم يأت.. وخرج الطفل محمد ولم يبيك.. قال لنا الشيطان بعدها إنه لم يجرؤ على الاقتراب.. نظر بعضنا إلى بعض في حيرة.. إن لكل ما مضى من الزمان شأن.. ولزمان هذا الرجل شأن آخر.. اعتصرت أكثر أنواع سمومي فتكا.. وزحفت بجسدي كله الذي طال مع الزمن طولاً عظيماً ونزلت مكة.. وعرفت أنتي سابقني فيها طويلاً.

مرت السنين وبعث "محمد" نبياً.. أبطل هذا الرجل كل سُم زرعته في تاريخ الأرض.. حتى الحقيقة المجردة وحدها.. حتى أن "إبراهيم" و"موسى" و"يعيسى" إنما كانوا يدعون كلهم إلى دين واحد.. وأن اليهود تركوا كتاب التوراة وأخذوا بكتاب من وحي خيالهم.. وأن النصارى حوتلوا المسيح من رسول الله إلى ابن وإله لكن الله إله واحد لم يلد ولم يولد.. وقال إن النصارى كتبوا في إنجيل عيسى كل ما طاب لهم من الكذب.. وأن عيسى لم يمت وإنما رفعه الله إليه.. وأنه أئد في نهاية الزمان ليحقق نبوءة التوراة ويحكم العالم كله بدين "إبراهيم" و"موسى" و"محمد" .. دين الله الذي ليس له ثان.. وأعاد الناموس والشريعة التي أسقطها النصارى.. وبرأ "سلیمان" من تهمة السحر التي كان اليهود يرمونه بها وقال إنه كان نبياً مرسلاً امتلك الإنس والجن والطير والدواب بمعجزة من الله وليس بالسحر.. ورغم أن دولة "محمد" لم تكن تتجاوز الجزيرة العربية فقط.. إلا أنه صنع فيها رجالاً من ورائه يعانون قوى كالصخر ثابت كالجبال.. رجال على أتم استعداد لفتح العالم كله.. رجال لا يقدر عليهم

شيطان.. بل إن الشياطين تهرب منهم.. لم تكن هناك طريقة لهزيمة هؤلاء إلا قتلهم المباشر.. وأولهم النبي "محمد".

زحفت ناحية المدينة.. وتحديداً إلى مساكن اليهود فيها.. ثم خرجت منها بعد أن أودعت في قلوبهم ما أودع.. وفجأة أهدت واحدة من هؤلاء اليهود شاة مذبوحة مشوية إلى النبي "محمد" وأصحابه.. وسألت هذه المرأة شيخ اليهود عن أشد سُمٍ زعاف من سُموهم فتكلّم.. فسموا لها واحداً بعينه فأودعته في الشاة.. وسألت عن أي جزء يحب النبي "محمد" أن يأكل فقيل لها الذراع.. فزادت في ذراع الشاة أضعاف ما وضعت في جسدها من السُّم.. وكان "محمد" يقبل المهدية فقبلها وجلس وأصحابه حول الشاة.. وتحفظت عيناه المشقوقة.. وأخذ النبي "محمد" الذراع وأكل منه أكلاً.. ثم تبعه أحد أصحابه وأكل ثم استوقفهم النبي "محمد" فجأة وقال لهم:

- كفوا أيديكم فإن هذه الذراع تخبرني أنها مسمومة.

ضيقـت عينـي في خـبث شـيطـانـي.. كـنت أـعلم أن تـلك القـضـمة الـواحـدة الـتي أـخـذـها من الشـاة كـانت كـافية لـقتـله.. ولو بـعـد حـين.. وبـالـفـعل مـرـض النـبـي "مـحـمـد" مـرـضاً شـديـداً بـعـد ثـلـاث سـنـوـات من أـكـلـه لـلـشـاة.. وـقـال في مـرضـه :

- مـازـلت أـجـد مـن الأـكـلـة الـتـي أـكـلـت مـن الشـاة.. فـهـذـا أوـان انـقـطـاع الـأـبـهـرـيـ.

وهـكـذا أـصـبـحـ الطـرـيقـ مـعـهـدـاً أـمـامـيـ لأـبـثـ مـزـيدـاً مـنـ السـمـومـ.. حـاـولـتـ بـكـلـ جـهـدـيـ أـنـ أـلـوـثـ أـفـكـارـ دـيـنـ الإـسـلـامـ لـكـنـ "مـحـمـدـا" لـمـ يـكـنـ قـدـ تـرـكـ شـيـئـاً قـابـلـاً للـتـسـمـيـمـ.. لـمـ يـنـسـ شـيـئـاً إـلاـ وـيـنـهـ.. وـكـانـ قـلـوبـ أـصـحـابـ أـشـدـ صـلـابـةـ مـنـ الـفـاسـ.. وـالـمـشـكـلـةـ الـأـكـبـرـ أـنـ اللـهـ قـدـ تـعـهـدـ الـقـرـآنـ بـالـحـفـظـ فـلـمـ يـكـنـ لـيـ أـيـ مـخـرـجـ لـتـحـرـيفـهـ.. وـلـمـ يـتـرـكـ الـقـرـآنـ شـيـئـاً إـلاـ ذـكـرـهـ فـيـ مـوـاـضـعـ عـدـيـدـةـ بـوـضـوـحـ.. لـكـنـيـ لـمـ أـعـتـدـ أـنـ يـقـفـ شـيـئـاً أـمـامـ رـحـفيـ وـسـمـيـ.. وـلـذـكـ وـجـدـتـ مـخـرـجـاً.. أـوـ شـبـهـ مـخـرـجـ.

مات صاحبا الرسول "أبا بكر" و"عمر" .. وتولى الخلافة بعدهما "عثمان بن عفان" واتسع دولة "محمد" لتكون من الصين إلى تونس.. ولو تركت بضع سنين كانت ستغزو العالم كله.. فقد بنى "محمد" جيلاً كاملًا من الشخصيات اللامعة النادرة القوية المخلصة بطريقة لم تحدث في التاريخ من قبل ولن تحدث في التاريخ من بعد.. وإن أعظم حضارات العالم تفخر لو وجد فيها شخص واحد من هؤلاء.. فكيف بحضارة فيها أكثر من مئة ألف منهم.. لم يكن مناسباً أنعتمد على أحد في يث سمعومي هذه المرة.. كان من المحتم أن أنزل بنفسي إلى ساحة الأحداث.. وخلعت عني هيئة الشعبان واتخذت لنفسي هيئة بشرية.. ونزلت إلى المدينة المنورة.. المكان الذي ربى كل هؤلاء الرجال.. نزلت إليها على هيئة رجل أسود قادم من اليمن.. بل شيطان أسود.. شيطان يدعى.. "عبد الله" .. "عبد الله بن سينا".

بدأت أخلط سما فكريًا عزافًا لحقنه في قلوب هؤلاء.. نظرت إلى عقيدتهم وكتابهم ورسولهم فلم أجد ثغرة أنفذ منها.. لكنني أمعنت النظر وأمعنت حتى وجدتها.. وجدت الثغرة التي سأحقن فيها سمومي كلها.. وبعد وفاة رسولهم اجتمع كبار صحابته في سقيفةبني ساعدة ليختاروا واحداً منهم خليفة المسلمين.. لكنهم أغفلوا واحداً من أهم الصحابة.. رجل شديد الأهمية لم يكن في هذه السقيفة معهم بل كان مشغولاً يغسل جسد النبي "محمد" تجهيزاً لدفنه.. كان هذا هو "على" .. "على بن أبي طالب" .. ابن عم الرسول وصهره.

ال المشكلة أنه كان من المستحيل التأثير على عقائد هؤلاء الرجال أبداً. بل إنني خفت على عقائدي كشيطان أن تتأثر لو اقتربت منهم.. لذا كان يجب أن يكون السبب سياسياً هذه المرة.. سياسياً بحتاً. إن "علي بن أبي طالب" من آل بيت النبي وسماه الرسول ولـي المؤمنين فكيف يجتمعون بدونه في السقيفة ويختارون خليفة لهم بدون حتى أن يأخذوا رأيه.. ضيقـت عينـي المشـوقـتين في رضا شـيطـانـي ومضـيـت في طـرـيقـي.

لكتني خرجت من المدينة مدحوراً مذموماً.. لقد أجمع أهل المدينة كلهم على رأي السقيةة.. وبaidu الكـل بلا أدـنى تردد الخليفة "أبو بكر" .. حتى "علي" نفسه بايعه ببساطة.. هؤلاء يـعرفون كلام رسولـهم جيداً.. فقد رتب أكثر من مرـة أصحابـه حسب الفـضل "أبو بـكر" فـ "عـمر" فـ "عـثمان" ثم "علي" .. ومـزاعـمي أن هـؤلاء الـثلاثـة قد سـرقـوا الخـلافـة من "علي" ثـلـاثـ مـرات ضـاعتـ في المـهـوا .. فـكيف يـسرـقـون الخـلافـة وـلـم يـخـرـجـ أحـدـهـم مـنـها حتـى بـثـوبـ جـديـدـ بلـ ماـتـوا جـمـيعـاـ مـديـوـيـنـ .. قـدـمـوا أـمـوـالـهـمـ وـأـنـفـسـهـمـ فـي سـبـيلـ اللهـ.

لكـنـ هـذـاـ السـمـ الذـيـ حـضـرـتـهـ وـلـمـ يـكـنـ قـادـرـاـ عـلـىـ التـأـثـيرـ فـهـوـ قـادـرـ عـلـىـ التـأـثـيرـ فـيـ ضـعـافـ أوـ حـدـيـثـيـ الإـسـلـامـ .. وبـهـذـاـ تـوجـهـتـ إـلـىـ الشـامـ .. وـحاـولـتـ نـشـرـ فـكـريـ هـنـاكـ لـكتـنـيـ خـرـجـتـ مـنـهـاـ مـدـحـورـاـ مـرـةـ أـخـرىـ .. فـكانـ أمـيـرـ الشـامـ "مـعاـوـيـةـ بـنـ أـبـيـ سـفـيـانـ" يـدـيرـ الشـامـ بـطـرـيـقـةـ يـسـتـحـيلـ مـعـهـاـ أـنـ تـشـتـعـلـ أـيـ فـتـةـ .. فـخـرـجـتـ مـنـ الشـامـ وـتـوجـهـتـ إـلـىـ الـعـرـاقـ .. وـهـنـاكـ فـقـطـ وـجـدـتـ ضـالـتـيـ.

فيـ الـبـداـيـةـ نـشـرـتـ مـطـاعـنـ عـدـيـدةـ فـيـ كـلـ أـمـرـاءـ الـبـلـادـ .. فـإـذـاـ تـقـبـلـهـاـ النـاسـ سـيـكـونـ سـهـلـاـ عـلـيـهـمـ أـنـ يـتـقـبـلـواـ مـطـاعـنـ فـيـ الـخـلـيفـةـ "عـثـمـانـ بـنـ عـفـانـ" .. وـبـالـفـعـلـ تـقـبـلـ كـثـيـرـ مـنـ النـاسـ كـلـامـيـ وـمـنـهـمـ كـبـارـ قـوـادـ جـيـوشـ مـثـلـ "الـأشـتـرـ النـخـاعـيـ" .. تـقـبـلـواـ مـطـاعـنـيـ فـيـ الـأـمـرـاءـ وـتـقـبـلـواـ مـطـاعـنـيـ فـيـ "عـثـمـانـ" .. وـظـلـلـتـ أـطـعـنـ وـأـطـعـنـ حـتـىـ سـارـ مـعـيـ ثـلـاثـ آـلـفـ جـلـ وـدـخـلـنـاـ الـمـدـيـنـةـ وـوـاجـهـنـاـ الـخـلـيفـةـ "عـثـمـانـ" بـمـطـاعـنـاـ وـطـلـبـنـاـ مـنـهـ أـنـ يـخـلـعـ نـفـسـهـ عـنـ الـخـلـافـةـ وـيـوـليـ "عليـ" .. لـكـنـ حـتـىـ هـذـهـ كـانـ الرـسـولـ قدـ أـخـبـرـهـ شـخـصـيـاـ بـهـاـ .. فـقدـ قـالـ لـهـ إـنـ هـنـاكـ مـنـافـقـينـ سـيـأـتـونـكـ وـيـطـلـبـونـكـ أـنـ تـخـلـعـ قـمـيـصـكـ اللـهـ فـلاـ تـخـلـعـهـ .. وـبـهـذـاـ رـفـضـ "عـثـمـانـ" أـنـ يـخـلـعـ نـفـسـهـ مـنـ الـخـلـافـةـ .. وـبـهـذـاـ حـاـصـرـنـاـ وـمـنـعـنـاـ عـنـ الـمـاءـ .. حـتـىـ قـتـلـنـاهـ.

وـبـهـذـاـ باـيـعـ النـاسـ "عليـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ" خـلـيفـةـ .. لـكـنـ اـخـتـلـفـ أـكـابـرـ الصـحـابـةـ؛ فـرـيقـ رـأـىـ أـنـ يـقـتـصـ الـخـلـيفـةـ "عليـ" مـنـ قـتـلـةـ "عـثـمـانـ" أـوـلـاـ وـإـلـاـ لـنـ يـيـأـعـوهـ .. عـلـىـ رـأـسـ هـؤـلـاءـ "عـائـشـةـ" زـوـجـةـ الرـسـولـ وـ"طـلـحةـ بـنـ عـبـيدـ اللـهـ" وـ"الـزـيـرـ بـنـ الـعـوـامـ" .. فـرـيقـ

الآخر وهو فريق الخليفة "علي" رأى أن يؤجّل القصاص.. لسبب سياسي بحت هو أن القتلة من أكابر قبائل العراق وشرق المملكة الإسلامية وهم حديثي الإسلام.. فلو تم القصاص الفوري منهم ستتشق نصف المملكة الإسلامية عن الخلافة.. وقد استخدمت رأي "علي" السياسي هذا شر استخدام.. فأشاعت في معارضيه فكرة أن "علي بن أبي طالب" كاره لـ "عثمان بن عفان" ولهذا هو يُقر قتله على ما فعلوه.. وإنما يتخذ حجته السياسية هذه ذريعة ليساعد القتلة على الهرب.. ويبدو أنني بدأت فعلًا في إشعال النار.

قرر "طلحة" و"الزبير" أن يسافروا إلى العراق للقصاص من القتلة بأنفسهم ومعهم خمسة آلاف رجل.. لكنهم أخذوا معهم "عائشة" زوجة الرسول لترقيق قلوب القوم هناك.. ولما وصلوا للعراق طالبوا القبائل بتسليم قتلة "عثمان" للقصاص لكن القبائل رفضت رفضًا شديداً كما توقع "علي" .. وبدأت الحرب.. وقتل جيش "طلحة" من القبائل الكثير.. وقتل القليل من قتلة "عثمان" .. أيضاً كما توقع "علي".

هنا انطلق "علي" بنفسه إلى العراق لحل هذا التزاع وعاتب "طلحة" و"الزبير" و"عائشة" على عدم تصديقهم لنظرته السياسية التي توقعها.. فهدأوا جميعاً وبأيعوا "علياً" بالخلافة واتفقوا على رأيه.. كان يبدو أن "علي" نجح في إخماد النار التي أشعلتها.. لكن هيهات.. ففي الليل بعد أن نام الجميع.. تسللت ورجال معن إلى مخيمات رجال "طلحة" وقتلت منهن نفرًا يسيراً.. ثم ذهبنا لمخيمات رجال "علي" وقتلت منهن نفرًا يسيراً.. ونادينا في كلا الطرفين بينما أغارت علينا الطرف الآخر الحق.. وهذا قام الرجال والتقت سيفوهم.. ونزل "علي" ينادي الجميع أن يوقفوا القتال.. وزلت "عائشة" على جملها ونادت في الجميع أن يوقفوا القتال حتى أصابت ناقتها سهام كثيرة لم يدر أحد من أين تأتي.. فأحاط "علي" بحمل "عائشة" بجسده في مشهدٍ بطولي حقيقي ومهدٍ لها الطريق للتخرج من الساحة.. ثم أمر نساءً من آل بيته لمراقبتها إلى المدينة.. قُتل "طلحة" بسهم

مجهول.. فلما رأه "علي" بكى.. وقتل "الزبير" بطعنة غادرة أثناء صلاة الظهر.. وأتى من يبشر "علي" بقتل "الزبير" فقال له "علي" أن يبشر قاتل "الزبير" أنه في النار.. ودفنه "علي" بنفسه وقال :

- إني لأرجو أن أكون أنا و"طلحة" و"الزبير" و"عثمان" ممن قال الله فيهم
ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين)

وبما أن العراق كانت مكانا غير مستقر فقد فضل "علي" أن يحكم المسلمين من الكوفة.. وبهذا كاد "علي بن أبي طالب" أن يطفئ النار مرة أخرى..

ولكن هيئات.. لازلت هنا.. لازال الأسود بن السوداء "بن سبا" هنا.. كانت هناك العديد من الثغرات قد تكونت الآن.. فـ "علي" أثناء تحقيق سياسته بتأليف قلوب قبائل العراق اضطر لإبقاء من كان منهم قائدا للجيش كما هو.. ومن هؤلاء كان "الأشرتر النخاعي" أحد رموز التمرد على "عثمان" وغيره الكثير.. وصرخت بين الناس أن انظروا كيف ترك "علي بن أبي طالب" مدينة رسول الله وذهب ليقيم الخلافة من الكوفة مهد قتلة "عثمان بن عفان".." انظروا كيف كان جيشه يقاتل جيش "عائشة" و"طلحة" و"الزبير" ويقتل منه من يقتل.. ويرفض أن يقاتل من قتلوا "عثمان بن عفان".." لا يدل ذلك على حقده على "عثمان بن عفان"؟! ولكن صرخاتي تلك لم تؤثر سوى في حديثي الإسلام.. فالمسلمون يعرفون جيداً من هو "علي بن أبي طالب".." ابن عم النبي.. زوج ابنته "فاطمة".." ومستشار الثلاثة خلفاء الذين كانوا قبله.. قال فيه النبي "إن الله جعل ذريعة كلنبي من صليبه وأبي أن يجعل ذريتي إلا من صلب علي".." و"من كنت مولاها فعلي مولاه".." فلم تجد صرخاتي صداتها.

لكن ما ساعدني بشدة كان أن هناك بلداً واحداً فقط معارضًا بأكمله لموقف "علي بن أبي طالب" السياسي منذ البداية ورافضاً أن يبايعه إلا بعد أن يقتضى من قتلة "عثمان بن عفان".." بل واحد فقط لكنه شديد الأهمية.. الشام.. بأميره "معاوية بن أبي سفيان".." ونفر من الصحابة الكبار أبرزهم "عمرو بن العاص" ..

لما أتت الشام قبل مقتل "عثمان" لم تتمكن من فعل شيء.. أما الآن ومع تبنيهم هذا الموقف المعارض.. صار إشعال النار عندهم أسهل بكثير.

فذهبت بصرخاتي إلى أنصار "علي بن أبي طالب" وقلت.. إن "معاوية بن أبي سفيان" يرفض مبادئه "علي بن أبي طالب" لأن "علي" قتل خاله وقتل أخيه.. كما أنه كبير قبيلةبني أمية التي منها و"عثمان بن عفان" .. فهو ولد دم "عثمان" .. وهو يقدم ولاءه للدم على ولائه لل الخليفة.. لكن صرخاتي لم تجد لها صدى كبيراً في تلك الأيام.. فالناس كانت تعرف من هو "معاوية بن أبي سفيان" .. تعرف أنه من القلة الذين اتمنهم النبي "محمد" على تدوين القرآن.. وعنده يحفظون أحاديث كثيرة جداً.. ودعا له "محمد" فقال "اللهم اجعله هادياً .. والمسلمون يتعاملون مع دعوات النبي معاومة الدستور.. بل إن أخت معاوية هي زوجة النبي "محمد" .. ولذا يلقبونه بخال المؤمنين.. وهم يثقون به تماماً لأنه ورغم أن "عمر بن الخطاب" أثناء خلافته عزل الكثير من الولاة مثل "خالد بن الوليد" و"أبو موسى الأشعري" و"سعد بن أبي وقاص" و"عمار بن ياسر" إلا أنه لم يعزل "معاوية بن أبي سفيان" أبداً.. وذلك لشدة حنكته في الإمارة وعدله.

لكن طال إصرار "معاوية" على رفض مبادئه "علي" .. ونصح الصحابة الخليفة "علي" بأن يخرج ليعيد الشام إلى حكمه.. فخر ووجهها عن الخلافة يجعل غيرها يستمر في الخروج على الدولة.. وبهذا خرج "علي" بجيش قوامه مئة وعشرون ألف رجل إلى الشام ليعيدها.. وجهز له "معاوية" جيشاً قوامه تسعمون ألف رجل.. كنت في غاية السعادة.. فالصحابية.. أصحاب القلوب الذهبية على وشك التقاتل مع بعضهم البعض.. وتقاتلهم هذا يعني سقوط دولتهم.. ويعني أن الشعب سيجد ضحية جديدة.

التحق الجيشان وسقط قتلى ما يقارب الأربعين ألفاً.. لكن كان هناك شيء عجيب في هؤلاء القوم.. توافت قليلاً لمحاولة استيغابه.. هؤلاء يقاتلون بالنهار.. وفي الليل يتراورون.. القرآن يدوي في ذلك الجيش.. ويدوي في الجيش الآخر..

كل طرف مؤمن أنه يقاتل لأجل الدين.. الطرف الأول يقاتل لأجل تفعيل حد القصاص لأن في تعطيله مخالفة لشريعة الله.. والطرف الثاني يقاتل لأجل استقرار الدولة الإسلامية.. يقاتلون ولا يكره طرف منها الطرف الآخر.. بالعكس يعظمون بعضهم البعض.. وفي المعركة يظل الرجال يتلاحمان بلا قتل.. فكل القتل الذي حدث في المعركة كان بفعل أتباعي.. قتلة "عثمان" الذين كانوا في جيش "علي" لكن لما كان صحابيان يتقابلان فإن سيفيهما يصطكان ببعضهما بلا قتل وقلباهم سواء.. وقفت بين هؤلاء وهؤلاء.. ليس لمثل هؤلاء وضعت سمعي.. لقد أشعلت ما ظنتنه ناراً في القلوب.. فأصبحت النار برداً وسلاماً عليهم كأنها لم تكون.. أنا أضيع وقتي هنا.. هؤلاء سيصطاحون بعد حين ويعودون أشد قوة مما كانوا.

وبالفعل اصطلاح الرجال.. وعملوا هدنة لسنة.. خلال هذه السنة رحفت على ضعاف النفوس والإيمان.. فلست أقدر إلا عليهم.. جعلت نفراً كثيراً منهم يعتبرون كل من شارك في المعركة بين الصحابة كافراً.. وجعلتهم يحاولون الانقلاب على الخليفة "علي" .. الذي انشغل تماماً بمحاربتهم والقضاء عليهم حتى قتلهم.. وهو "عبد الرحمن بن ملجم" .. الذي ظن بكل السُّمِّ الزاعف الذي أودعته في قلبه أنه قتل "علياً" وأنه سيدخل الجنة.. وقد قال الرسول إن قاتل "علي" هو أشقي الآخرين.. وقال أيضاً أن الطائفة التي ستقتل الخوارج هي أقرب الطائفتين إلى الحق وهي هنا طائفة "علي بن أبي طالب" .. أما الطائفة التي ستقتل "عمار بن ياسر" أثناء الفتنة فهي الفئة الباغية وهي هنا طائفة "معاوية بن أبي سفيان" .. العجيب أن النبي "محمد" كان يقول أحاديث عن أحداث حذرت بذاتها بعد موته.. هذه الأمة عجيبة.. حقاً لم ير التاريخ مثل هذه الأمة على الإطلاق.

تولى الخلافة بعد موت "علي بن أبي طالب" ابنه "الحسن" .. وقد عمل عملاً بسيطاً أصلح به كل شيء.. بعد ستة أشهر على خلافته ذهب إلى "معاوية" وتنازل له عن الخلافة.. وبهذا اصطلاح الكل ولم يعد في قلب أحد على أحد مأخذ.. هذا

الرجل غريب.. كان منذ البداية ينصح أباه "علي" بكل النصائح التي لو كان اتبعها كانت المشكلة ستنتهي.. فنصحه ألا يخرج وراء "عائشة" إلى العراق.. وألا يخرج لقتال "معاوية" .. والآن تنازل عن الخلافة.. وقد قال عنه جده النبي إن الله سيصلح به بين طائفتين عظيمتين من المؤمنين.. ومرة أخرى.. تحققت نبوة النبي كما قالها تماماً.. وانتهت الفتنة تماماً وخدمت النار.. وزالت السفوم.. ونظرت إلى نفسي.. لقد فشلت مع هؤلاء.. حقّاً لقد فشلت.. من أي شيء صنعت قلوبهم بالضبط؟.. من أي شيء صنعت؟

تمت
